المياه . وإزالة الصخور حتى تتمكن السفن الكبيرة أن ترسو مباشرة على البر بعد بناء الارصفة . وعسى أن يوفق الله تعالى حكومة الحجاز أن تقوم بهذه الاعمال الجليلة . كما وفقت لاستتباب الامن . وإقامة حدود الله والسهر على مراعاة شؤون حجاج بيت الله الحرام . ونضرع إلى الله تعالى أن يوفق جميع المسلمين للمعاونة على ما يحتاج اليه الحرمان الشريفان (المكى والمدنى) من الاصلاح واسباب تيسير الوصول إليهما إنه على ما يشاء قدير .

البـــاب الثانى

فِي فَضْلِ الْعِلْمِ والْعُلَمَاءِ خُصُوصاً الْأَئِمَّةَ الْأَرْبَعَةَ الْمُجْتَهِدِينَ

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) سورة المجادلة : (قال ابن عباس رضى الله عنهما درجات العلماء فوق المؤمنين سبعمائة درجة مابين الدرجتين خمسمائة عام) . ولو لم يكن فى فضيلة العلم إلا قوله تعالى (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) سورة آل عمران لكفى فانظر كيف بدأ الله بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأهل العلم . وناهيك بهذا شرفا عظيما . كيف لا والعلماء ورثة الأنبياء كما ثبت فى الحديث الشريف (العلماء ورثة الأنبياء) وإذا كان لا رتبة فوق النبوية فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وغاية العلم

العمل . وهو ثمرته . وفائدة العمر . وزاد الآخرة . فمن ظفر به سعد في الدنيا والآخرة . وقد نال هذه المرتبة العالية أكثر علماء المسلمين والفقهاء والمحدثين ولا سيما الأئمة الأربعة المجتهدين فقد أحكموا الأحكام الشرعية . وبيّنوا المسائل الخفية ... وأسسوا الأصول والمباني . ونقحوا الفروع والمعاني . لهذا يجدر بنا أن نذكر طرفا من جليل قدرهم .

سيدنا ومولانا الامام الصفي أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي

هو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المَرْزِبان من أبناء فارس . قال حفيده اسماعيل بن حماد وُلد جدي أبو حنيفة سنة ثمانين هجرية وذهب أبوه ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته . ومناقبه أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر . وقد صنف العلماء فيها كتباً كثيرة . ورسائل وفيرة . وقد كان في فقهه وزهده وورعه وعبادته وعلمه وفهمه غير مشارك . ولذا قال فيه عبد الله بن المبارك رضي الله عنه :

لقد زان البلاد ومن عليها ... إمام المسلمين أبو حنيفه
بأحكام وآثار وفقه ... كآيات الزبور على صحيفة
فما في المشرقين له نظير ... ولا في المغربين ولا بكوفه

إلى أن قال :

وصان لسانه عن كل إفك ... وما زالت جوارحه عفيفه
يعف عن المحارم والملاهي ... ومرضات الإله له وظيفه

وقد كان فى علم الحديث على جانب عظيم وكان إماما فيه فإنه أخذ الحديث عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم . ومن ثم ذكره الذهبى وغيره فى طبقات الحفاظ من المحدثين . وقد توفى سنة مائة وخمسين هجرية وعمره سبعون سنة ودفن فى بغداد وقبره مشهور رضى الله عنه .

سيدنا ومولانا الامام مالك أمام دار الهجرة

هو مالك ابن أنس بن عامر التيمى . وكنيته أبو عبد الله الأصبحى أحد الأعلام الذين شيدوا الاسلام . ولد فى خلافة الوليد ابن عبد الملك سنة أربع وقيل سنة ثلاث وتسعين هجرية . ومناقبه جمّة أفردت بالتأليف . وثناء الناس عليه مشهور معروف . أخذ الرواية عن تسعمائة شيخ . منهم ثلثمائة من التابعين . وستمائة من تابعيهم ممن اختاره : ومن أجل مناقبه أنه العالم الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة) رواه الترمذى وغيره . وفى رواية : ليس على ظهر الدنيا أعلم منه . فتضرب الناس إليه أكباد الإبل . وفى لفظ آخر يوشك أن يضرب الناس آباط الإبل فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة . فالمراد بعالم المدينة فى الأحاديث المذكورة هو الامام مالك رضى الله عنه كما قاله التابعون وتابعوهم . ولم يعرف أن أحداً ضربت إليه أكباد

الإبل مثل ما ضربت إليه . وكان الناس يزدحمون على باب الإمام مالك رضى الله عنه ويقتتلون عليه من الزحام لطلب العلم . وتوفى سنة تسع وتسعين ومائة هجرية بالمدينة المنورة على صاحبها أتم السلام وأزكى التحية . وعمره خمس وثمانون سنة . ودفن بالبقيع . وقبره مشهور يزار رضى الله عنه .

سيدنا ومولانا الامام محمد بن إدريس

هو محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن الثائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف . الشافعى القرشى رضى الله عنه . ولد بمدينة غزة وقيل بعسقلان وقيل باليمن سنة خمسين ومائة هجرية . وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وأذن له الامام مالك بن أنس بالفتوى وهو ابن خمس عشرة سنة وكان كنز المناقب جم المفاخر اجتمعت فيه من العلوم بالكتاب والسنة وكلام الصحابة . واختلاف أقاويل العلماء . ومعرفة اللغة العربية ما لم يجتمع فى غيره . وقد بشر به النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال (لا تسبو قريشا فإن عالمها يملأ طباق الأرض علما) وقد حمله كثير من العلماء على الامام الشافعى رضى الله عنه .

ومن أجل مناقبه أنه كان يختم القرآن الكريم فى كل يوم مرة . وكان يختمه فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة .

وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة هجرية . فأقام بها سنتين . ثم خرج إلى مكة . ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة هجرية فأقام بها شهراً ثم خرج إلى مصر المحروسة ولم يزل بها إلى أن توفى يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين هجرية وعمره أربع وخمسون سنة . ودفن بالقرافة بمصر . وقبره مشهور يقصده الناس من كل فج تبركا به رضى الله عنه . .

سيدنا ومولانا الامام أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل

هو أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه المتصل نسبه بعدنان . الشيبانى المَرْوِزى الاصل . خرجت أمه من مَرْو وهى حامل به فولدته فى بغداد فى شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة هجرية . وقيل إنه ولد بمرْو . وحمل إلى بغداد وهو رضيع . .

وتوفى أبوه وهو طفل ونشأ ببغداد وطلب بها العلم والحديث من شيوخها ثم رحل بعد ذلك فى طلب العلم للبلاد كالكوفة والبصرة والمدينة والشأم واليمن والجزيرة . وكتب عن علماء كل بلد : وقال أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف . ومشايخه كثيرون . ومن أجلهم الامام الشافعى رضى الله عنه .

وكان الامام احمد رضى الله عنه يحفظ الف الف حديث .

وقال مرة ما كتبت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد عملت به ولذا يقول الشافعى رضى الله عنه خرجت من بغداد

وما خلفت فيها أحـدا أورع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل رضى الله عنه . وقد توفى ضحوة يوم الجمعـة لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحـدى وأربعين ومائتين هجرية ببغداد . ودفن بمقبرة دار حرب وعمره سبع وسبعون سنة . وقد حضر جنازته من الرجال والنساء ألوف كثيرة . (وأسلم يوم موته عـدد كثير من اليهود والنصارى والمجوس) . رضى الله عنه . ونفعنا الله بهم أجمعين إلى هنا نقتصر على ما أوردناه من مناقب الأئمة الأربعة المجتهدين . رضوان الله عليهم أجمعين وجعلنا من المتبعين لأقوالهم بجاه سيد المرسلين . فإن هؤلاء هم الذين أوصلوا إلينا أقوال أفضل النبيين فليس لأحد الآن غنى عن اتباع أقوالهم . فجزاهم الله تعالى عن الاسلام وأهله خير الجزاء . وحشرنا وإياهم تحت لواء نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . .

الباب الثالث

فِي وجُوبِ الحَجِّ وَأَدِلَّتِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

الكتاب — قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ . وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا . وَلِلَّهِ عَلَى